حكايات وأساطير للاولاد

النار الجائعة



منشورات المكتب العالمي للطباعة والنشر بيروت

حكايات وأساطير للاولاد

سلسلة قصصية مصورة، ملونة، توجيهية لمطالعات تلامذة صفوف الشهادة الابتدائية.

النار الجائعة

منشورات المكتب العالمي بيروت
للطباعة والنشر

النار الجائعة

إنَّ النَّارَ الَّتِي نُضرِمُها فِي الْمَطْبخِ تَبْقَى دائماً جائِعَةً . فَكُلَّمَا وَضَعْنَا الحطبَ فِي الْمَوْقِدِ يَشْتَعِلُ وَيَتصاعدُ مِنْهُ الدُّخانُ حَتَّى يَصِلَ إلَى سَقْفِ الْمَطْبَخِ وَهكَذا تأكُلُ النَّــارُ الْحَطَبَ الَّذِي نَضَعهُ فِي برهةٍ وجيزةٍ من الزَّمنِ ، ثُم كأنَّ لسانَ حـــالِها يقولُ : هاتُوا المزيدَ هاتُوا المزيدَ .

غَرِيبَةٌ هَذهِ النَّارُ الَّتي تَظَلُّ تُطعَمُ وَلاَ تَشْبَعُ ، وَحِينَما لاَ تَجِدُ مَنْ يُغَذِّيَها ، تَهيبُ بالخادِمِ لأَنْ يقدِّمَ لها ما هي بحاجة إليه، وما حاجتُها إلاَّ المزيدُ المزيدُ من الوَقودِ ومن الحِطب والفحمِ.

وَجُذوعِ الاشجارِ .

وَكَثيراً ما كَانَ الخادِمُ تَوْفيقُ يَنامُ بَعْدَ أَنْ يُشْعِلَ النَّارَ في الْمَوْقِدِ . فَيَسْتَيْقِظُ عَلىَ صَوْتٍ يُنَادِيهِ وَيَكُونُ هذا صَوْتَ الْمَوْقِدِ المِلْحَاحَ في الطَّلَبِ والمحتاجَ أَبـداً إلى الحطَبِ .

إنْها النَّارُ الجائِعةُ التي ما شَبِعَتْ يوماً ولن تَشْبعَ وَينْهَضُ تَوْفِيقٌ لِيَضَعَ فِي النَّارِ حَفْنَةً[1] جَدِيدَةً ثُمَّ يَعُودُ إلَى النَّوْمِ . وَيَعُودُ الْمَوْقِدُ فَيوقِظهُ مِنْ نَوْمِهِ لِكَيْ يُقَدِّمَ لِلْنَّارِ مرةً أُخْرى بَعْدَ أنْ تَكُونَ قَدْ أَكَلَتْ كلَّ الَّذي قَـدَّمَهُ إِلَيْهَا قَبْلَ أنْ يَنَامَ .

وهـكذا دَوَالَيْكَ وحالةُ توفيقٍ على ما هي عليه من القَلَقِ والتَّبَرُّمِ فالملالةِ ...

كَانَتْ قِطَـعُ الْحطَبِ تَرْتَجِفُ[2] وَتَخافُ كُلمَّا مَدَّ تَوْفِيقُ يَدَهُ إِلَيْهَا لِيأْخُذَ مِنْهَا طَعَـاماً لِلنَّارِ . وَكَانَتْ كُلُّ وَاحِـدَةٍ تَبْكِي وَتَنْدُبُ[3] حَظَّهَا . وَلَمْ يَكُنْ حَظُّ الْوَاحِدَةِ بِأَحْسَنَ مِنْ حَظِّ الأُخْرَى لِأَنَّ مَصيرَهَا جَميعاً كَانَ

(١) حَفْنَةٌ : قَبْضَةٌ
(٢) ترتجف : ترتعش خوفاً
(٣) تندب : تبكي بحسرة



إلى الْهلاكِ[1] بَعْدَ أنْ يُقدِّمَها تَوْفِيقُ طَعاماً لِلنَّارِ .

وَفي أَحدِ الأَيَّامِ ، لَمْ يَبْقَ فِي الصُّنْدُوقِ سِوَى قِطْعَةِ فَحْمٍ وَقِطْعَةِ حطَبٍ وَغُصْنِ شَجَرَةٍ واحِدٍ بَعْدَ أنْ قَدَّمَ تَوْفِيقُ كُلَّ ما كَانَ فِي الصُّنْدُوقِ مِنَ الفَحْمِ وَالْحطبِ وَغُصُونِ الأَشْجارِ لِلنَّارِ فَتأَمَّلتْ حالَتَها الْبائِسَةَ[2] وَنَدَبَتْ حَظَّها بَعْدَ أنْ تَأَكَّدتْ مِنْ أنَّ مَوْتَها أَضْحَى وشِيكاً ثُمَّ التَفَتَتْ إلَى بَعْضِها بَعضاً وَقَالَتْ قِطْعَةُ الْفَحْمِ .

— لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى مُسَاعَدَتِنَا سِوَى قَضِيبِ الْحدِيدِ الَّذي يُحَرِّكُ بِهِ تَوْفِيقُ النَّارَ ... فَإذَا قَبِلَ بِمُساعَدَتِنَا فَقَــدْ نَتخلَّصُ مِنَ الْمَــوْتِ طُعْمَةً للنَّارِ التي لا تَرْحَمُ ولا تُشْفِقُ ..

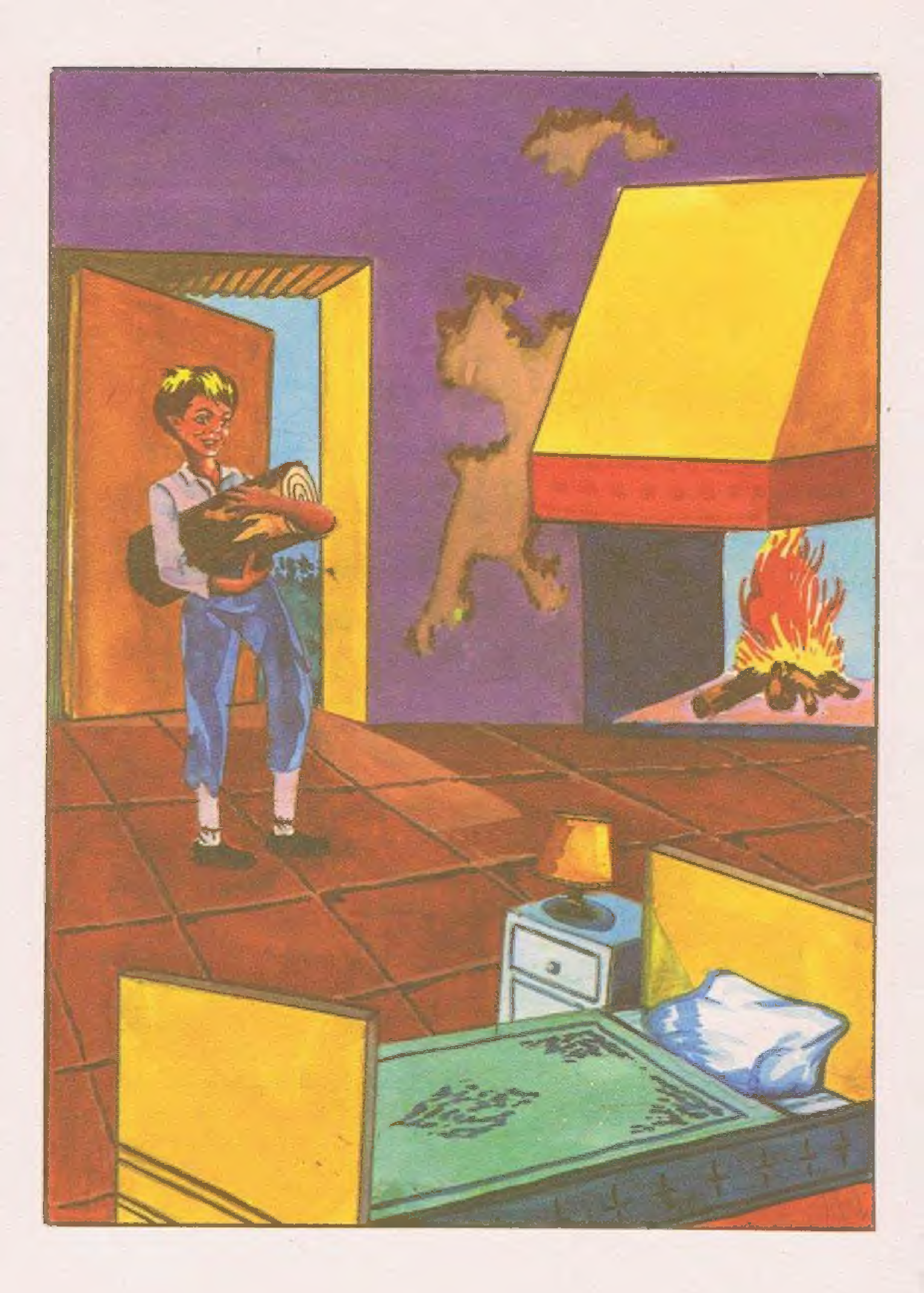
وَتَطَلَّعَ جمِيعُها إلَى تَوْفِيقٍ فَوَجَدُوهُ نَائِماً .

فَقالَتْ لِبَعْضِها البعضِ : إذَنْ فَالْفُرْصَةُ مَفْتُوحَةٌ أَمَامَنَا . نَادِي قَضِيبَ الْحدِيدِ، فَنَادَتْهُ فَجاءَ هَذَا يَرْكُضُ نَحْوَها مُسْتَغْرِبًا

---

(١) الهلاك : الموت الفناء

(٢) البائسة : الحزينة اليائسة



لِأنَّهَا كَانَتِ الْمَرَّةَ الْأُولَى الَّتِي يَسْمعُ فِيها هَذِهِ الْأَشيَاء تُكَلِّمُهُ وَقَال فِي نَفْسِهِ :

- تُرى مَاذَا تُرِيدُ مِنِّي ؟

كَانَ غُصْنُ الشَّجَرَةِ أوَّلَ مَنْ سَلَّمَ عَلَى قَضِيبِ الْحدِيدِ . ثُم سَلَّمَتْ عَلَى الْقَضِيبِ بَعْدَهُ قِطْعَةُ الْحطَبِ . لَكِنَّ الْقَضِيبَ وَقَفَ مُحْتَاراً لاَ يَعْرِفُ مَاذَا كَانَتْ تَقْصِدُ مِنْ وَرَاء سَلَامِهَا وَقَالَ :

ـ مَا الْحِكَايَةُ ؟ أَخبِرْنَنِي مَاذَا تُرِدْنَ مِنِّي ؟

عِنْدَئِذٍ ، بَدَأَتْ قِطْعَةُ الْفَحْمِ تَتَكَلَّمُ بِحُزْنٍ وَقَالَتْ :

ـ أَنتَ تَعْرِفُ بِأَنَّ النَّارَ أَكَلَتْ جَمِيعَ أَخَوَاتِي وَإِخْوَتِي وَعَمَّاتِي وَخَالاَتِي وَقَرِيباً سَيَأْتِي دَوْرُنَا فَما عَسَى أَنْ يَكُونَ مَصِيرُنَا إلاَّ كَتلكَ النِّهايَةِ الَّتي ما رَحِمَتْ وَلن تَرْحَمَ ؟..

وَقَاطَعَتْهَا قِطْعَةُ الْحطَبِ وَقَالَتْ :



ـ هَــلْ تَقْدِرُ أَنْ تُخَلِّصَنَا مِــنْ شَرِّ النَّارِ الآكِلَةِ ؟ نَرْجُوكَ أَنْ تُسَاعِدَنَا .

كَانَ قَضِيبُ الْحَدِيدِ يَبْكِي وَهُــوَ يَسْتَمِعُ إِلَى كَلَامِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي كَانَتْ تَنْتَظِرُ مَوْتَهَا فِي النَّارِ . ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ :

ـ مِنَ الْمُؤْسِفِ أَنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى مُسَاعَدَتِكِ وَلَكِنَّنِي سَوْفَ أُحَاوِلُ بِقَدْرِ اسْتِطَاعَتِي .

قَالَ قَضِيبُ الْحَدِيدِ ذَلِكَ وَعَادَ إِلَى مَكَانِهِ وَصَارَ يَتَطَلَّعُ حَوْلَهُ فَرَأَى تَوْفِيقاً نَائِماً . وَفَكَّرَ بِأَنْ يَسْحَبَهُ وَيَرْمِيَهُ فِي النَّارِ فَتَأْكُلَهُ وَيَرْتَاحَ مِنْهُ الْفَحْمُ وَالْحَطَبُ وَأَغْصَانُ الشَّجَرِ ، وَهَلَّلَ[1] الْجَمِيعُ لِهَذِهِ الْفِكْرَةِ ، ثُمَّ اتَّفَقَتْ مَعَ الْمِكْنَسَةِ حَتَّى تُسَاعِدَهَا فِي سَحْبِ تَوْفِيقٍ إِلَى النَّارِ حَالَمَا يُفِيقُ مِنَ النَّوْمِ .

وَبَعْدَ لَحَظَاتٍ ارْتَفَعَ صَــوْتُ النَّارِ تَطْلُبُ الْمَزِيدَ مِنَ الأَكْلِ . وَنَادَتْ تَوْفِيقاً الْكَسْلَانَ حَتَّى يُنَاوِلَهَا الْمَزِيدَ مِنَ

---

(١) هَلَّلَ : فَرِحَ



الْفَحْمِ أوِ الْحطَبِ أوْ غَيْرِهِ .

وَقَامَ تَوْفِيقٌ مِنْ نَوْمِهِ وَسَأَلَ النارَ :

ــ هَلْ أَنتِ جَائِعَةٌ؟ حسناً انْتَظِرِي قَلِيلاً حَتّى آتِيَ لَكِ بِبَعْضِ الْفَحْمِ .

وَصَرَخَ قَضِيبُ الْحَدِيدِ :

ــ هَيَّا بِنَا ...

وَأَسْرَعَتِ المِكْنَسَةُ وَالْمِلْقَطُ فَسَاعَدَا قَضِيبَ الْحَدِيدِ عَلَى حَمْلِ تَوْفِيقٍ لِتَرْمِيَهُ فِي النَّارِ . وَلَكِنَّ النَّارَ قَالَتْ بِأَنَّ لَحْمَ تَوْفِيقٍ لاَ يَنفَعُهَا ، فَرَفَضَ أُولَئِكَ أَنْ يَسْمَعُوا كَلاَمَهَا وَأَلْقَوْا بِهِ فِي النَّارِ فَأَكَلَتْهُ .

أَخِيراً شَعَرَتِ النَّارُ بِالْجُوعِ مِنْ جَدِيدٍ . وَصَرَخَتْ : مَنْ مِنْكُمْ يُرِيدُ أَنْ يُقَدِّمَ لِيَ بَعْضَ الأَكْلِ ؟

فَرَدَّ قَضِيبُ الْحَدِيدِ : « لاَ أَحَدَ . . »



عِنْدَئِذٍ هَدَّدَتْهَا النَّارُ بِأَنَّهَا سَوْفَ تُحْرِقُ الْبَيْتَ وَتُحْرِقُهَا مَعَهُ . وَلَكِنَّهَا رَدَّتْ عَلَيْهَا سَاخِرَةً بِأَنْ تَفْعَلَ مَا تَشَاءُ وَمَا تُرِيدُ ، إِذَا كَانَ بِوُسْعِهَا أَنْ تُحْرِقَ الْبَيْتَ ... وَفَجْأَةً دَخَلَتِ الْمِيَاهُ إِلَى الْمَطْبَخِ فَكَانَ مَنْظَرُهَا كَافِياً لِأَنْ تَسْكُتَ النَّارُ عَنِ التَّهْدِيدِ وَالْتَفَتَتِ الْمِيَاهُ إِلَى الْحُضُورِ وَقَالَتْ :

ـ هَلْ لِي أَنْ أُسَاعِدَكِ فِي شَيْءٍ يَاأَخَوَاتِي ؟

وَرَدَّتْ جميعاً بِصَوْتٍ وَاحِدٍ :

نَرْجُوكِ أَيَّتُهَا الأُخْتُ الحبيبَةُ أَنْ تُسْرِعِي في إِطْفاءِ هذهِ النَّارِ التي ما عَرَفَ قَلْبُهَا الرَّحمةَ ولا الشَّفقةَ[1] فتَستريحُ وتُريحُ ولَوْ إلى حين . . . إِنَّها قد قَضَتْ على[2] كُلِّ أهلِنا وأقارِبِنا وهي الآنَ جادَّةٌ لأَنْ تلتَهِمَنَا وحتى لو التهمتْنا[3] وغيرَنا مهمـــا كان العَدَدُ فلن يُدرِكَها الشَّبَعُ ولن تَكُفَّ عن الطَّلب ، طلبِ المزيد .

وهكذا رقَّتْ[4] المياهُ لحالِ تلكَ البائساتِ وتقدمتْ من

---

(١) الشَّفَقَة : العطف والرحمة
(٢) قَضَتْ على : دَمَّرَتْ ، أَهْلَكَتْ
(٣) التَهَمَ : أَكَلَ ، قَضَى على
(٤) رَقَّ لحاله : رَثَى له ، أَشْفَقَ عليه

النّارِ بقوةٍ واندفاعٍ شديدينِ، واطفأتهــا، وخلّصتِ الجميعَ من شرّها.

وأخيراً ودّعَ الفحمُ والحطبُ وأغصانُ الأشجارِ كلاًّ من القضيبِ الحديدي والمياهِ والملقطِ والمِكْنَسَةِ شاكرةً لها حسنَ صَنيعِهــا ومعروفهاَ الذي لا يُنسى وانطلقتْ تَرْقُصُ وتُغنّي لأنَّ القَدَرَ هَيَّأ لهـا فرصةَ الخلاصِ مـن حِقْدِ النّارِ التي لا تَرْحَمُ ..

وفي اليومِ التّالي حَضَرَ صاحِبُ المنزلِ فَوَجَدَ الْمَوْقِدَ على تلكَ الحالِ البائسةِ فما بهِ غَيْرُ الرّمادِ وَوَجَــدَ المنزلَ بارداً جداً يكَادُ لا يُطاقُ ففكّرَ في نفسِهِ قائلاً : أرى ألّا فائدةَ من هذا الْمَوْقِدِ تُرْجَى، وأنا قليــلاً ما أكونُ شِتاءً في المنزلَ فَهَدْمُهُ أوْلَى من بَقَائِهِ فما منْهُ ســوى الضَّررِ والخسارةِ، فَهَدَمَه وكانَ مكانَهُ فُرْنٌ من الغازِ، فلا دُخانَ ولا ما يُحيلُ[1]

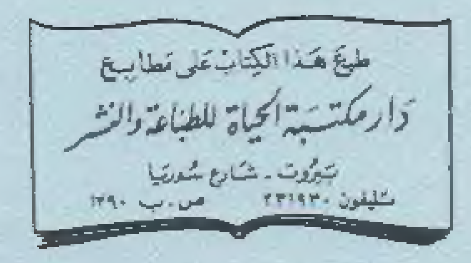
(١) يُحيلُ، يُغيّرُ

الجُدرانَ وسَقْفَ الغرفةِ من اللَّونِ الأبيضِ الجميلِ إلى الاسودِ المُقْرِفِ القبيحِ .

وهكذا ، فالنَّظافة كما قيل - من الإيمانِ وأنْ نرتاحَ ولا نُكَدِّرَ[1] الغيرَ مُسبِّبينَ له التَّعاسةَ خيرٌ وأجدَى[2]...

(١) كَدَّرَ الغير : أزْعَجَهُ ، مَقَتَهُ

(٢) أجْدَى : أفَيْدُ ، أنْفَعُ ، أكثر قيمة .





منشورات: المكتب العالمي للطباعة والنشر - بيروت
خندق الغميق - ملك الخليل - ص.ب: ٨٠٣٨ - تلفون: ٢٥٥٢١٧ - ٢٢٢١١٠
- برقيًا: مكتحياة - تلكس: ٢٠٠٣٠ حياة